مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

تصدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية

نصف سنوية - علمية - محكمة

✿ الإعجاز البياني واللُّغوي في القرآن الكريم (الجزء الأول):

أ. د. عمـــر يوســـف حمـــزة

✿ آثار الإنترنت السالبة على المستخدمين، وكيفية حمايتهم منها:

د. إسماعيل محمد حنفي الحاج

✿ مفهوم التجديد وتجديد التديُّن:

د. عبد الله الزبير عبد الرحمن

✿ منهجية النبي ﷺ في بناء وحدة الأُمَّة:

د. أحمد المجتبى بانقا

ود. سعد الدين منصور

✿ التكاثر السكاني من منظور إسلامي:

د. إبراهيم محمد أحمد بلولة

✿ وسائل الاتصال والنمو الثقافي:

د. أحمـــد حســـن محمـــد

✿ نـــدوة المقاطعة في الإســـلام:

تحرير: أ. باعزيز علي الفكي

السنة الثانية ــ العدد الرابع ــ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ــ أغسطس ٢٠٠٤م

منهجية النبي ﷺ
في بناء وحدة الأُمّة

د. أحمد المجتبى بانقا
د. سعد الدين منصور

منهجية النبي ﷺ في بناء وحدة الأُمَّة

د. أحمد المجتبى بانقا(*)
و د. سعد الدين منصور(**)

مُقَدِّمَة:

تَمُـرُّ الأُمَّـة الإسلامية بواقعٍ يتسم بالضعف، والتخلف، والتقهقر، والتقوقع، والشعور بالنقص، والرضا بالتبعية للصهيونية والصليبية، التي اتخـذت مـن دول العالم الأول مكاناً استطاعت من خلاله بسط ثقافاتها ومعتقداتها في عقر ديار الإسلام؛ بل أضحت التحديات التي ينبغي على الأُمَّـة مواجهـتها ومجابهتها ذات فوارق عن تحديات العصور السالفة، فهـي تحديـات مرتـبطة بعصر العولمة والتكنولوجيا وهيمنة (الميديا) الإعلامـية، والتكتلات الاقتصادية، والإمبريالية الرأسمالية، وغيرها من وسائل القوة المادية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل.

والسـؤال المطروح أمام تلك التحديات هو: ما مدى استفادة الأُمَّة الإسـلامية من الفرص المتاحة في سبيل المعترك التراكمي للقوة المادية السـالفة الذكـر حتى تحتل موقعها الريادي لقيادة البشرية جمعاء؟ هل ستكون الأُمَّة الإسلامية قابلة للتحدي العصري الذي خطف قانون التعامل

(*) أستاذ مساعد، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

(**) أستاذ مشارك، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

مع النواميس الكونية واستطاع أنْ يوظفه في سبيل إنجاح حياته الدنيا حتى أضحت موروثات الإسلام المعرفية مصطلحات غربية تدخل في صميم حياتهم السياسية، والاجتماعية، وهلم جرا؟ فالعدل والصدق والإنسانية والتواضع وحسن التعامل صارت سمات غربية، بل صار الغرب دار هجرة استقطابية لكثير من أفراد المجتمع الإسلامي، بسبب القهر والظلم والتسلط، التي أضحت سمة من سمات معظم المجتمعات الإسلامية، التي اتخذت من قانون الغاب أنموذجاً تأديبياً لكل من وقف أمام التحديات القطرية أو العصبية الضيقة، التي باتت تخدم حفنة من البشر، حتى غدت العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة تحدِّدها مصالح شخصية، ونتج عن ذلك ضياع الحاكمية لله تعالى ومن ثم ضاعت الأُمَّة.

وتدور الدراسة حول محاور الفرص والتحديات الاجتماعية لوحدة الأُمَّة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، وفق ضوابط منهجية النبي ﷺ، حيث يتناول البحث: أحاديث النبي ﷺ التي تتعلق بوحدة المجتمع الإسلامي كقوله ﷺ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ .."[1].

والبحث إجابة عن تساؤلات فرضتها حيثيات الدراسة، حول موقف الأحاديث النبوية من وحدة الأُمَّة الإسلامية نظرة تأصيلية من خلال مناقشة النقاط التالية: الدراسة الحديثية لطبيعة المجتمعات، حوارات

(١) أخرجه الشيخان: البخاري في المظالم والغصب برقم ٤٢٦٢، ومسلم في البر والصلة والآداب برقم ٤٦٥٠.

التَّكَـيُّف، المعوِّقـات الداخلـية التي تحول دون توحيد الأُمَّة "التصدي، السـلبية، الفسـاد،..."، المعوِّقـات الخارجـية المتمثلة في دور اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين قديماً وفي الواقع المعاصر، ومنهجية النبي ﷺ في بناء وحدة الأُمَّة عِبَرٌ وعظات، وغير ذلك من القضايا ذات الصلة.

لقـد صـار واقـع الأُمَّـة ومصـيرها بيـن مطرقة المتقاعسين والمرجفيـن[1] وأصحاب الأهواء والأماني الفضفاضة، وسندان اليهود، والمنصِّـرين[2]، ومـن شايعهم من الغرب أجمعين، بل ومَنْ أعانهم من بنـي جلدتـنا وقدَّم لهم كل سهل وصعب، من أجل تحقيق أهداف ذاتية بعيدة كل البعد عن النظرة الشاملة التي تأسس عليها مبدأ العقيدة، وتعاليم العـبادات والمعـاملات، عَـنْ أَبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَـنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُـحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛

---

(١) قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فَعَلَـيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِـهِ) وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (أَجْرُ خَمْسِـينَ مِـنْكُمْ)[1]، وقال ﷺ: (كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ ــ أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَـانٌ ــ يُغَـرْبَلُ الـنَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُـمْ وَأَمَانَـاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ؟ فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ)[2].

إنَّ هذا الخطاب النبوي يقرأ واقع الأُمَّة المعاصر بكل تفاصيله، بعد أنْ كان الخطاب النبوي في عهد دولة الصفوة الإسلامية على شاكلة قوله ﷺ: (مَـثَلُ الْمُؤْمِنِيـنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[3].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، برقم ٤٣٤١، ١٢٣/٤. وورد كذلك: "الصابر فيهن": انظر: الترغيب والترهيب للمنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ، ٥٨/٤. والتاريخ الكبير للبخاري، رقم (٣٥٨٣)، ٤٢٦/٨. والتمهيد لابن عبد البر، ٣١٦/٢٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، برقم ٣٧٧٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٤٦٨٥. انظر: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩/٤.

والذي يدور في جعبة كثير من مثقفي الأُمَّة الإسلامية ومفكريها، بل وعامـتهم أنَّ معـاول الهدم الداخلي لهي قاصمة الظهر، حيث التاريخ الإسلامي القاصي منه والداني أكبر شاهد على ذلك، فإنَّ دولة المسلمين الأولى شهدت أعنف تيار نفاقي تخريبي(١).

عَـنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَـالَ: سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعًا، فَأَعْطَانِي ثَلاثًا وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ كَمَا أَهْلَكَ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا)(٢).

وإنْ كـان الـتاريخ قد سطَّر لنا هذا الواقع الأليم، فالحديث النبوي الـذي أصـبح أيضـاً تاريخاً قيادياً؛ أكبر شاهد على المنهج النبوي في

---

(١) لقد ظهر تيار المنافقين كتيار تخريبي ذي دور بارز في غزوة أُحُد، حيث رجع ابن سلول بثلث جيش المسلمين، ثم كان دورهم أكبر في غزوة الأحزاب ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وكان خطرهم على الإسلام أشد من معاول الكفر، وفي غزوة تبوك نزلت فيهم سورة الفاضحة (التوبة) ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. فإذا كان هذا النفاق في دولة الصفوة الإسلامية فكيف به في هذه الأزمان التي تشهد أضعف مرحلة في تأريخ المجتمعات الإسلامية؟

(٢) أخرجه الإمام أحمد، مسند القبائل برقم ٢٧٢٦. انظر: مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، ٣٩٦/٦.

تخطـــي الأزمـــات، والعمـــل علـــى تحدي الصعاب التي واجهت الأُمَّة الإسلامية في مرحلة طفولتها، حتى استطاعت أنْ تكون دولة ريادة، قاد الصحابة فيها العالم بفضل التخطيط النبوي الشريف.

فإنـــنا لا يســـعنا إلاَّ أنْ نقول: إنَّ عوامل النهضة اليوم ليست ذات فـــوارق عـــن الأمس، ولعل هذا ما يصبو البحث إلى الإجابة عليه، وقد تمحـــور النقاش حول الوحدة الإسلامية بمناقشة أسباب الانحطاط وإيجاد الحلـــول اللازمة، من خلال التأصيل النبوي لمعاني الوحدة الاجتماعية وأثـــرها في نهضة الأُمَّة، حتى يتحقق للمسلمين الحلم الذي تبدَّد باختفاء دولة الخلافة الإسلامية، التي استبدلت بالحدود الدولية، والنظرة القطرية، وذلك وفق النقاط التالية:

أولاً: مدخل في دراسة طبيعة المجتمعات:

يلاحـــظ المتأمِل في تطور الحضارات وتاريخ الأُمم؛ وحدةً بيِّنةً في الجهـــد البشـــري المشترك لتحقيق إنسانية الإنسان على الأرض، رغم اختلاف الوسائل وتباين الجماعات. ومصدر هذا التوحد أو السعي نحو وحدة راسخة في كيان الإنسان نابعة من أصل الفطرة الأولى التي فَطَرَ اللهُ تعـــالى الـــناسَ عليها لا تبديل لخلق الله، وما سُمِّيت فطرة إلاَّ لأنها تتماشـــى مع كافة ألوان الطيفِ البشري، وهي الطبيعة البشرية التي لا تخـــرج عن مألوف الإنسان، وما يميِّز هذه الفطرة أنها شمولية وعامة، تستوعب كافة أنواع التواجد الإنساني في ماضيه وحاضره، قال ﷺ: "مَا